الفلسفة والنسوية: بين ازدراء القيم التربوية للمجتمع والطموح السياسي

م.م. سهاد حميد ذياب عذاب

Suhad.Hamid@copolicy.uobaghdad.edu.iq

جامعة بغداد/ كلية العلوم السياسية

الملخص

تستطيع النسوية، وبمجرد تساؤلها، ما أسباب خضوع المرأة للرجل؟ أن تنفض عنها غبار الحياة الاعتيادية بما فيها من قيم المجتمع التربوية الذكورية البالية لتتطلع إلى قيم أخرى كونية (إنسانيّة) جديدة تسمح بالتجاوب معها والاعتراف بها. عبر السعي إلى خلق ثقافة جديدة بأشكال مختلفة تتخلل كل جوانب المجتمع منها المساواة في الفرص والحق في الاعتراف بالمختلف بوصفه شريكاً في الوجود، وتحويل الطرق التي يفكر بها الناس على كل المستويات، وتحويل كل المؤسسات والثقافة والتربية والمجتمع تقريباً.

هذا ما سنناقشه في بحثنا، عبر إيجاد الخيط الناظم للعلاقة بين الفلسفة والنسوية وتبيان نماذج الخطاب النسوي الفلسفي، وكيفية رفضه لقيم المجتمع التربوية الذكورية والبرهنة عن طريقها على إمكان القول الفلسفي النسوي السياسي، وإمكان نصرة المرأة في ذلك.

الكلمات المفتاحية: الفلسفة والنسوية، البطريركية الذكورية، الجنوسة، الاختلاف الجنسي.

Philosophy and Feminism: Between Contempt for Society's Educational Values and Political Ambition

Asst. Lect. SUHAD HAMEED DHEYAB ADHAB

University of Baghdad/ College of Political Science

Abstract

Feminism, by simply asking, what are the reasons for women's subordination to men? can shake off the dust of ordinary life, including its outdated male-based educational values, and look forward to other new universal (human) values that allow for responding to and recognizing them. By striving to create a new culture in various forms that permeates all aspects of society, including equality of opportunity and the right to recognize the different as a partner in existence,

transforming the ways in which people think at all levels, and transforming almost all institutions, culture, education, and society.

This is what we will discuss in our research, by finding the common thread of the relationship between philosophy and feminism, and clarifying models of feminist philosophical discourse, and how it rejects the values of male-dominated educational society, and through it demonstrating the possibility of feminist political philosophical discourse, and the possibility of supporting women in that.

Keywords: philosophy and feminism, male patriarchy, gender, sexual difference.

فرضية البحث:

تنطلق فرضية البحث من نتاج الفكر التربوي للمجتمعات الذكورية، منها:

١. إن المرأة يجب أن تكون مستعبدة في المنزل تقوم برعاية الرجل مقابل حمايته لها ماديًا.

٢. إن المرأة عاجزة عن التكيف مع البيئة التي تحكم الحياة السياسية وبنية العمل، فالعاطفة عندها تمنع اتزان العقل.

٣. إن الشأن الخاص يلزم بالضرورة أن يكون عامًا وفق الفلسفة النسوية السياسية.

اشكالية البحث:

تنطلق دراسة بحثنا هذا من اشكالية أساس هي: هل يمكن للمرأة أن تحضر على مستوى الخطاب العمومي – السياسي والعملي مشاركة ومنتجة؟ وهل يمكن أن تنتج خطاباً متميزًا يمكن الافادة منه في دحض كل السلوكيات المجتمعية العقيمة والاساليب التربوية المستخدمة ضدها؟ وكيف ذلك؟

هيكلية البحث:

تتلخص أفكار بحثنا هذا عبر مطلبين، يمثل الأول: النهوض بواقع المرأة من خلال دحضها لقيم المجتمع المبنية على أسس تربوية قد تكون أغلبها ظالمة لحق المرأة، بينما المطلب الثاني نوضح فيه الأساس الذي استندت عليه الحركات النسوية في الدفاع عن حقوقها بل واثبات ذاتها عبر المناخ المعرفي للفلسفة، وكيف ساعدت الفلسفة الحركة النسوية في التعبير عن آرائها.

المقدمة:

علينا أن نعي أن مشكلة كون تاريخ الفلسفة تاريخاً ذكورياً هو معول خراب وتهشيم للقيمة الإنسانية، إذ يوجد هناك اتفاق شبه مطلق حول حقيقة: إنَّ النساء الفيلسوفات قد أُقصين واستبعدن من تاريخ الفلسفة، وكأنَّها أصبحت صناعة ذكورية، وهنا من خلال بحثنا هذا سنعمل

على تبيان مستويات هذه الخديعة، متماشين مع مطالب النسويين ومحاولاتهم من أجل الانتصار للمرأة،، ومساندة التكافؤ الإنساني، في الحقوق والواجبات، والقدرات والإمكانات والفرص.

المحور الأول. النسوية بين القيم الرافضة للتربية المجتمعية وطموحها السياسي.

واجهت النساء في الغرب، كما في مختلف المجتمعات، محنة إبعاد وإقصاء لها؛ نتيجة أفكار رسختها الأنظمة البطريركية، والتي يراد منها إدماج الوجود الإنساني ضمن دائرة مغلقة ومهيمنة للطرف الذكوري على الأنثويّ، تضم مفاهيم مختلفة وقد تحمل دلالات خاطئة. تصور لنا دائماً أن تكون "**المرأة جانب المدفأة والرجل في ساحة المعركة**" (جيرمان، د.ت، ٥١).

وبذلك تصب تربية المجتمع الذكورية كل مواطن الضعف والانحلال على المرأة، وتجعلها ضمن القطيع الذي يأكل ويشرب عاجزة عن التفكير، أو تحمل المسؤولية، أو حتى القيام بأدنى مساهمة فعالة في المجتمع. على هذا الأساس جاء تعريف الفلسفة النسوية، في قاموس كامبريدج للفلسفة بأنَّها: الفلسفة الرافضة لربط الخبرة الإنسانية بخبرة الرجل فحسب (Audi, 1995, 305).

وبذلك تحاول النسوية إسقاط هرمية الجنس التي تقتصر على دلالات بيولوجية بحتة وكذلك اسقاط هرمية الجنوسة والتي تعني التمييز المجتمعي التربوي بين الرجال والنساء داخل المجتمع وفقاً لطبيعتهما البيولوجية، لتشكل مجموعة من المعايير الاجتماعية التربوية حول سلوك خاص للأفراد حسب جنسهم.

إنَّ القيام بهذا الفعل، هو بكل تأكيد، ثوري ولا يمكن أن نتصوره كحادثة تاريخية يمكن إنجازها بسرعة. وبكلمة أخرى إن النسويين "**لا يحاولون تبديل الرجال بالنساء في المواقع الحالية للقوة في تحديد مجرى تطور المجتمع، إنَّهم يحاولون تغيير طريقة التفكير في هذه المواقع وأنظمتها**" (هيلد، د.ت، ٢١٧).

وهنا تأتي نجادة الفلسفة لتكون المنقذ أو إحدى أدوات الإنقاذ لمقولها العقلاني والكوني بطبيعته، بالرغم من كل ما يشوبه من هيمنة ذكورية هو الآخر، فكم حرمت النساء من هذه الميزة الإنسانية والعقلية؛ وذلك حين "**فرض عليهن أن يكن بلا ماض وبلا مستقبل، وأن يعشن كحيوان يأكل ويشرب ويتناسل**"(السعداوي، د.ت، ٢٠٣).

فلا تحيا المرأة بالوظائف البيولوجيّة أو الجسدية فقط، إنَّما لها مطامح عقليّة تدور في فهمها لنفسها، فهمها لوجدوها الإنساني وما يفرض عليها من قمع وتسلط وتهميش، بل وحتى الجسد، نفسه، يجب ألا ينظر له بوصفه مادة ثانوية تحقيريّة غريزية تشكل صورة المرأة، وتنحيها إلى مكانة أردأ مما يجب أن تكون عليه أسرياً واجتماعياً؛ لذلك تعمل النسوية على استدعاء الخطاب الفلسفي الكوني لتستعيد حقوقها أو تؤسس لها، وتنظم علاقاتها داخل الكوني الإنساني من وجهة

نظر فلسفية . إذ أن الفلسفة – بكل اتجاهاتها – تؤمن بالإنسان كإنسان عقله، غرائزه، عواطفه، وجسده (حمادة، ٢٠١٤، ١٠).

تحدّت النسويّة وقاومت لعبة القهر المفروضة وأسست لحقوقها داخل الكونيّ / الإنساني لتفرز لنا جانبها النسوي الإبداعي الذي تدافع به عن حقوق النساء ومطالبهن، وتتعرف على واقعية الآخر (الرجل) من وجهة نظر فلسفيّة. إذ تضيق الفلسفة من التقييد وتبتعد عن التحديد، فهي غير مختصة بجنس معين، كأن تكون ذكورية مثلاً دون غيرها، إنما تعد ظاهرة إنسانية ملازمة لوجود الإنسان ككل. هذه الالتفاتة إلى الذات جعلتها تسير تجاه مطلب الفلسفة الإنساني طالما كانت مهمة الفلسفة "**تحرير تغرب الإنسان وتشيؤه وفقدانه لذاته الحقيقية، وهي استرجاع لوجهه الإنساني وسط رق الأشياء**" (مجاهد، د.ت، ٢٠). لكي تعي الأدوات المهيمنة، وتسعى إلى اتخاذ نهج خاص بالحياة، يعمل على تبصير الآخر (الرجل) بها، ليصبح ذاتاً أنسنية نبيلة، لا يستأثر بعقلانيتها لنفسه، ويؤمن بقيمة الإنسان، بصرف النظر عن مواطن القوة والضعف في جنسه البيولوجي (خيري، ٢٠١٠، ٩).

فضلاً عما سبق، يمنح الخطاب الفلسفي للنسوية تأسيساً يوتوبياً خيالياً، بمجرد تأملها للوضع المضطهد لها، أو باستنادها إلى نظريات فلسفيّة، تستطيع أن ترسم سياسة تكفل بها الحرية والمساواة والعدالة، لتوفير الفرص وتحقيق الإمكانيات التي لا بد من أن تحصل، ووضع العلاقات البشرية على أسس إنسانية.

المحور الثاني: الفلسفة والنسوية تضافر المهمات وتداخل الأهداف.

وكما سلمنا منذ البدء بأن حل هذه التوترات وتجاوزها إنما يتم بعملية فلسفية، تم توضيحها، فكذلك هي سياسية من جهة أخرى إذا ما اعتبرنا أنَّ بإمكان الممارسات السياسية، بل يتعين عليها، تحويل نظام المجتمعات وخوصاً العلاقات بين الجنسين (أجاسينسكي، ٢٠١١، ١٩).

أي تجاوز التقسيم الجنسي الحاصل وعدم المساواة في الحقوق ووجوب النص عليه وفقاً للقانون. إلا أنَّ ذلك ليس حصراً على الحركات النسوية أو الفيلسوفات، وإنَّما واحد من الإمكانات الحاصلة؛ لذلك تنطلق النسوية من مقاربة نقدية من جانب وتأسيسية من جانب آخر، لغرض بناء أرضية جديدة تكون بمثابة قوة خلاقة تعمل على إزاحة العلاقة العمودية الفاصلة بين الجنسين، أعلى وأدنى تأسيساً لقيم مشتركة تكفل حق العدل والتوازن وتكافؤ الفرص بينهما. وهذا ما يحيلها إلى أن تتبع حلولاً فلسفية – سياسية:

أولًا. الفلسفية:

"**إذا ما اعتبرنا بإمكان الفلسفة، بل يتعين عليها، المساهمة في تغيير طريقتنا في التفكير**" (أجاسينسكي، ٢٠١١، ٦٨). انطلاقاً من الإحساس بمدى جسامة وخطر الإقصاء الذكوري للأنثى، نجد النسوية تسير برفقة الفلسفة، منهجاً، ولربما مقولاً، في إطار التضمين والاحتواء؛

لأجل تحدي الازدراء الذي خلعه الرجل على وجودها وحصرها ضمن نطاق لا يتوافق مع طبيعتها الإنسانية، بوصفها كائناً عاقلاً يحق له أن يتعقل وجوده ويحدد علاقاته بمن حوله. وقد أنتجت الفلسفة بمعونة التطورات التي لحقت العلوم والمعارف الإنسانية، خطاباً أكثر إمكانية للمرأة. فتساؤلات الفلسفة صنعت مجالاً مشاغباً ونقديّاً قوياً إلى درجة نسف الكثير من الثوابت الاحتكارية للرجل، وفي إطار الفكر الغربي يمكن القول إنه قد حررت العلوم والصناعة الغربية المرأة من العناء والخطر. فالماكينات تقوم بالعمل المنزلي. وحبة منع الحمل تحدد الخصوبة . والولادة لم تعد قاتلة كما كانت.

إنَّ الخط الأبوللوني (نسبة إلى ابوللون أو ابوللو): هو واحد من الآلهة اليونانية القديمة. الذي يرمز للنور والعقلانية وقد ترسخ في ميتافيزيقا الثقافة الغربية بوصفه الاعتدال أو المركزية العقلانية بالضد من ديونيسيوس الذي يعد إلهاً للشهوانية والملذات. يعبر عن رمزيتهما للذكر والمرأة بالقول: إنَّ "**الأبوللوني قاس ورُهَابي phobic، يجتزئ نفسه – ببرود – من الطبيعة، متخذاً من نقاء إنسانيته العليا وسيلة لهذا الاجتزاء. وهنا سأؤكد أن الشخصية الغربية والإنجاز الغربي، في السراء والضراء، ومهما تغيرت الظروف هما –وإلى حد كبير– من النمط الأبوللوني وديونيسيوس الخصم اللدود لأبوللو، هو حاكم النمط الأرضي السفلي (chthonian)الذي يتجسد قانونه في الأنثوية التناسلية" (كاميلي، ٢٠١٥، ٤٠، ٤١).**

وهذا الخط الأبولوني للعقلانية الغربية قد أنتج المرأة العدوانية الحديثة التي يمكنها أن تفكر مثل الرجل، ... كما أنَّ التوتر والمعاداة الماثلين في الميتافيزيقا الغربية طورا قوى دماغيّة cortical إنسانية عليا تسمو إلى ارتفاعات عظيمة. إن غالبية ما أنتجته الثقافة الغربية هو تشويه للواقع. ولكن الواقع ينبغي أن يكون مشوهاً؛ أي معدلاً على نحو خيالي (كاميلي، ٢٠١٥، ٤١). ويقصد بالتشويه هنا تعديل الوضع القائم من القمع للمرأة نحو تكافؤ في الفرص والحقوق.

ثانيًا. السياسية:

إيماناً من أكثر الحركات النسوية بأن ما يقع على المرأة من حيف قد رسخ سياسيّاً، وأن الخلاص منه لا يمكن دون أن يكون للسياسة شأن في ذلك. ويعتقد البعض أن بدايات الفلسفة النسوية، قد دارت في إطار تحرير المرأة اجتماعياً وسياسياً من أجل إحقاق ما لها من المكتسبات المدنيّة، والتأكيد على مبدأ المساواة بينها وبين الرجل وان لم يدم طويلاً، لتنامي الحقوق والمنجزات التي حققتها النسوية، إلا أن الأمر لا يمكن إبعاده عن شقيه الفلسفي والسياسي كما اشرنا وذلك لأنها معاولها الأساسية. ولذلك عملت الفلسفات النسوية في بواكيرها وحتى بعد نضوجها على الإمساك بحقوق مدنية وسياسية واجتماعية منها: (قطب، ٢٠١٣، ١٧).

– حق المرأة في التعليم مساوياً ومماثلاً لما يتلقاه الرجال في المدارس والمعاهد والجامعات.

– حق المرأة في العمل في جميع الوظائف والمهن التي ظلت حكراً على الرجال.

– حق المرأة في الاقتراع والتصويت في الانتخابات البرلمانية والبلدية، وتطوير ذلك أكثر فأكثر.

واستمرت النسوية في مناقشة الحرمانات المتراكمة للمرأة من وجودها ومعرفتها وحتى قيمها وسياستها. وبصرف النظر عن مصطنعات الوجود من جنس وعرق وغير ذلك. وإذا أمكن للنسوية استرداد حريتها الفكرية المستلبة، وتجاوز القيود المهيمنة، وإثبات هويتها ووجودها المعترف به، فإنَّما يكون ذلك بمعاول الفلسفة فهي من تمنحها هذه الحريَّة، أو تعمل باتجاه تحصيلها وأن الفلسفة بحد ذاتها لا تمتلك إجمالاً معنى غير الحريَّة. فهي تحيا عندما تمارس دور التحدي، وتموت إذا استسلمت للأمر الواقع و"**ترفع دائماً راية العصيان في زمن الخضوع والإذعان**" (حمادة، ٢٠١٤، ٩).

فالحرية هي ما ينمي الإبداع لديها، ويصبح شعاراً لكرامتها، ومصدراً لاحترامها، وبها تبلغ منزلتها عن طريق القيام بخياراتها، وممارسة أحكامها، ودفاعها عن حقوقها (باريك، ٢٠١٠، ٢٩٣). وكلما اكتسبت المرأة حريتها، استطاعت أن تحقق أفعالا جليلة في المجتمع. لذلك تشكل النسوية والفلاسفة النساء أساساً في هدم البناء التفوقي للذكر، وهو ما يجعلنا نفحص هذا البرهان ومدى أثره وتأثيره في صناعة حلول لأزمات المرأة في عالم السياسة الذي لا يعول عليه إن لم تكن المرأة مشاركة فعلية وحقيقية فيه.

هكذا مثل الواقع بالنسبة للنسوية، صدمة أو أزمة جعلها ترتد إلى الذات لإعادة إحيائها من جديد، نتيجة الضغوط المجمعية المفروضة عليها بفعل التربية، حيث بدأت تشعر بحالة من الاغتراب أو التشيؤ، بأن كيانها الأنثوي أصبح مجرد شيء أو سلعة فاقدة لهويتها وحريتها، غير قادرة على امتلاك المصير. ومعه نجد المطالبة الجادة الحقيقية والثورية التي جعلت من المرأة شعلة لا تنطفئ مع ذلك كله لا تخلو الحركات النسوية من تأرجح في فهم التغييب الأنثوي، بين تفسيرات اجتماعية أو سياسيّة، مؤطرة بأسس فلسفيّة . يذهب الكثير إلى أن الحركات النسوية جزءاً من الحركة السياسيّة وليس الاجتماعية. وإنها أولى الحركات التي وضعت السؤال السياسي في صدارة الأسئلة؛ ذلك حين لفتت الانتباه إلى غياب الحقوق في دولة الحق، فالدافع إلى التشكيك في دولة الحق لدى النساء هو هاجس الحرية السياسية أكثر مما حركه هاجس المساواة الاقتصادية في إطار العدالة التوزيعية، ولكن على الرغم من هذا انساقت هذه الحركة عند ظهورها، جزئياً على الأقل مع الوهم القاضي أنَّها حركة اجتماعية؛ فربطت ربطاً تعسفياً بحركات العالم الحديث الاجتماعية (Collin, 1986, 5–7).

مما سبق، تبرز قضيَّة المرأة وحقها في التفكير عموماً بوصفها مسألة حق وعدل. فما أزمة تغييبها إلا صناعة مرتكزة على سرقة حقها وضياع الإنصاف لها. وأنَّ السبب الرئيس وراء هذه الأزمة غياب مسألة العدالة، وما تتركه من فضاء واسع لأخذ الاختلافات بالحسبان، فالعدالة كمسألة فلسفيّة سياسيّة تدمج على الأقل بين أربعة جوانب (فلاكس، ٢٠١٠، ٦٦):

١. **المصالحة:** إذ تتطلب وحدة الاختلاف، والاندماج والتبادل وعدم إبادة التعارضات والتمايزات.

٢. **التبادلية:** وتدل التبادلية على وجود المشاركة المستمرة، ولا تتطلب التساوي في القوة بين الأفراد.

٣. **الاعتراف:** ويشمل معنيين : (أ) الاعتراف بشرعية الآخرين ومنحهم التشريف والاعتبار. (ب) التطابق مع الآخر ورؤيته باعتباره مثل ذات الفرد

٤. **الحكم:** وهو عبارة عن عملية من التوازن والتناسب، تتضمن القدرة على رؤية الأشياء من وجهة نظر الآخر بها.

وهنا تتضح الرؤية عن استدعاء النسوية للخطاب الفلسفي والسياسي، لغرض تجاوز محن الذكورية، ومشكلة الجنس والجنوسة وتحقيق كل اشتراطات العدالة في الالتزام تجاه الآخر الذكوري من قبل المرأة، كذلك العكس، كما تعمل هذه الوسيلة اللاجئة إلى الفلسفة بكونيتها على صناعة الاعتراف وتحقيق المصالحة وتأكيد المشاركة الجنسية لغرض إلغاء هذه التمايزات الميتافيزيقية. لكن ما نود إفهامه من هذا الاستدعاء أنَّ النسوية لا تهدف إلى التماثل بين الجنسين، إذ إنَّ "**الحاجة إلى رؤية كل شخص بنفس الطريقة، لمنحه الكرامة والاحترام، هي تعبير عن المشكلة نفسها وليس علاجاً لها**" (فلاكس، ٢٠١٠، ٥٥).

وبناءً على ما سبق، فإن الخطوة الأولى والأهم في المشروع النسوي، هي إلغاء قوانين النوع الاجتماعي/ الجندر في المجتمع، والتي تضع المرأة في منزلة أقل من منزلة الرجل وذلك لتفكيك هذه الأدوار وقوانينها الثقافية النافذة في قلب نظامنا الاجتماعي والسياسي، وعلى النسويين أن يعوا مكانة القوة في السياسة، لكن بما لا يجب أن يمنعهم من محاولة تحديد وتفكيك البنيات القمعية مثل الهرمية الجنسية، أو النوعيّة/ الجندريّة. وهذا الهدف لا يتطلب نظرية للقوة فحسب، بل أيضاً نظرية من شأنها مؤازرة التحرر من القمع، إذن فالمطلب الفلسفي النسوي هنا يتضمن جانبين، الأول نظرية في القوة داخل المجال السياسي لتأييد المرأة و الآخر ونظرية في التحرر تسبقها لأجل إتمام مشروع النفوذ للقول والممارسة السياسية (ديلو، ديل، ٢٠١٠، ٧٢٢).

لا تطالب النسوية بصناعة رؤية شمولية أو واحدية تختزل الفروقات التي هي حاصلة بين الأفراد ككل، والمجتمعات على اختلافها، وإنما تكتفي في تفكيك البنية الذكورية التي استولت على إمكان الخطاب والفعل بمجمليهما. فهي لا تعادي الرجل ولا تكرهه وترفضه؛ بل تعادي آخرويته القامعة، وتحرص على أن تجرده منها، ليصبح ذاتاً إنسانية (خيري، ٢٠١٠، ١٨).

تأخذ وتعترف بالمختلف عنها بوصفه شريكاً لها في الوجود. بل إفهامه بأنَّ المرأة جزءاً معه في كلية الإنسان، وذلك بعد أن أخذت هويتها شكل التجاهل والإهمال التام. فالغاية المنشودة من وراء التثوير والتغيير النسوي هي بناء مستقبل أفضل من الماضي تسترد فيه حقها الإنساني وإثبات هويتها أو خصوصيتها الأنثوية، طالما كان المقصود بالهوية "**ما نوجد عليه على نحو**

فردي وما نريد أن نكون عليه، على معنى ما يميز خصوصيتنا والكيفية التي نتمثل بها هذه الخصوصية معاً" (رينو، ٢٠٠٥، ١٤٣).

بمعنى أن تكون لها خصوصية ومكانة فعلية تتميز بها من سائر الجماعات الأخرى، وفي الوقت نفسه إيجاد المشتركات وإلغاء الإقصاءات. إذا كانت الهوية مرتبطة أو متشكلة بالقهر والإخضاع المهيمن على فئة معينة، يصبح إثباتها: إما متخذاً لشكل الاستقلال الذاتي، القائم على الرفض، وعدم الخضوع للطرف الآخر، أو آخذاً لشكل الهوية الجمعية، القائمة على أساس مبدأ الاعتراف بالآخرين (رينو، ٢٠٠٥، ١٦٢).

يجب أن تظهر الحاجة إلى الاعتراف بشرعية المرأة، وتصحيح الصورة السلبية التي التصقت بها؛ ومن هنا يقتضي الخطاب الفلسفي السياسيّ النسوي التأكيد على المساواة والاختلاف، فما الهيمنة الذكورية إلا نتيجة لعدم الأخذ بهما . كما أن ذاتياتنا لا يمكنها أن تدرك إلا عن طريق التفاعل مع الآخر الذي يشبهنا بشكل ما أو يختلف عنا بشكل واضح، فنحن نصبح أنفسنا عن طريق النظرات المحيطة بنا، ونكون أنفسنا عن طريق نظرة الآخر لنا، وهذا الآخر يكون الموضوع الأساسي الذي منه تطرح مسألة وجود الذات أمام الذات نفسها (الوائلي، ٢٠١٣، ٥٨).

لكن، ومن وجهة نظرنا، فقد شكل وجود الرجل للمرأة واقعاً مربكاً، وأحياناً غامضاً ينزلق بالنسوية إلى مستوى أبعد من أن تلتحم به وتتشارك معه، فمن ناحية يثير وجوده لديها أهمية لأجل التغيير، هذا ما سنشهده مع النسوية الليبرالية والماركسية ومن ناحية أخرى يثير عندها الشك والمخاوف مما يمكن أن يفعله بها، كما هو الحال في النسوية الوجودية وما بعد الحداثية. وإذا كانت ذات المرأة أو خصوصيتها تدرك عن طريق النظرات المحيطة بها، وتتشكل هويتها وتتحدد وفقاً لها، كيف يتسنى للنسوية أن تدافع عن حقوق المرأة، وتكسر الحاجز السلطوي الذكوري؟ خرجت النسوية من حالة الركود والتشيؤ إلى بناء بيئة عذراء تدعو للإيمان بمبدأ المساواة والاختلاف كأساس حقيقي وفعليّ سياسي، ودافعت عن حقوق المرأة وفق صيغ فلسفيّة مختلفة لا تستند في طرح رؤية واحدة عن تحديها لازدراء المرأة، إلى نبذ الغلبة الذكورية. لكن هذا يشترط مقدماً، ومن الطرفين، الأخذ بالحوار كمبدأ فلسفي سياسي ذلك **"أن الحوار في أحواله ومبانيه وغاياته، قائم على الاعتراف المتبادل، وحق كل فريق سواء كان فرداً أو جماعة في المشاركة المتساوية المتكافئة في تقرير الصياغة النهائية لشكل ومضمون المسألة التي يجري الحوار بشأنها"** (حيدر، د.ت، ٢٢٠).

هذا ما يمكّن النسوية، بحسبنا، من أن تصف وضعيتها وتعبر عن تجربتها الخاصة وتحدد علاقاتها بالرجل وأن تثبت هويتها، وتتخلص من النظرة الأبوية العنيفة، وتحصد التكافؤ معه، فبدون الحوار تكون الصيغ المنتجة منهما **"مجرد استلاب يفرضه الأقوى على الأضعف، ما**

يفضي في النهاية إلى خلل في نظام القوة" (حيدر، د.ت، ٢٢٠). وعليه فالحوار يلزم في مختلف مستوياته أن يعتمد شروطاً منها (جمعة، ٢٠٠٨، ١٢):

- الاعتراف المتبادل بين كلا الطرفين.
- الاحترام الذي ينبذ صفة الاستخفاف في جنس أو لون وثقافة الطرف الآخر.
- الإيمان بالندية والمساواة لتقويض الهيمنة والسيطرة التي يرفض تماماً الانطلاق منها.
- الانفتاح على الآخر فكرياً وموضوعياً.
- الوعي بالذات واعتماد الرغبة في الحوار للوصول إلى أهداف مشتركة تخدم الجميع بدلاً من السقوط في الجدل العقيم غير المنتج.

هكذا جاء الفكر النسوي السياسي لينشئ قطيعة مفاهيمية يقوّض بها البنى التي رسختها المجتمعات الأبوية التي جعلت المرأة بسبب نوعها البيولوجي تحتل دائماً وظلماً مكانة أدنى من الرجل. إذ التركيبة الطبيعية للإناث تكمن في الحمل والإنجاب وتربية الأطفال، ووفقاً لذلك يكون المجال الذي تكرس النساء نشاطها له (الأسرة)، هذا ما يزيد من ضعفها ويحد من قدرتها الفكرية أمام الرجال الذين يتميزون ببني جسمانية أقوى منهن، لذا تؤهلهم قدراتهم للعمل في المجال العام (أ.دال، ١٩٩٣، ١٥٣).

ما دفع النسوية إلى القيام بثورة سياسية تحمل معها الكثير من الأفكار والقيم الداعية لـ: الدفاع عن حقوق المرأة وتحريرها لكي ترسم وتحدد طريقتها في الحياة، تحدياً للفرضيتين الأبويتين المتجذرتين المرأة يجب أن تكون مستعبدة في المنزل يقوم الرجل برعايتها مادياً، والأخرى أنَّ المرأة عاجزة عن التكيف مع البيئة التي تحكم الحياة السياسيّة وبنية العمل (جيمس، ٢٠١٠، ٢٣٧).

وهذا يتطلب من المرأة أن تكون واعية بظروفها لتنتج خطاباً فلسفياً سياسياً يدحض أشكال العنف الموجهة ضدها؛ ولذلك استندت النسوية عبر سيرها التاريخي إلى توجهات فلسفيّة مختلفة عالجت بها مواطن ضعف النساء المصطنع، وطالبت بتوفير مختلف حقوقهن ولاسيما على المجرى السياسي وهذه التوجهات هي: ليبرالية، ماركسية، وجودية، وراديكالية جذرية، وحتى ما بعد حداثية أتت هذه الإصلاحات داخل أجيال نسوية ثلاثة، أي ضمن سياق خارجي يحوي مفاهيم عصرية تميزه. لكل جيل منها مناخه الفكري الخاص والمميز، تبعاً للظرف الاجتماعي الذي ينبع منه ويتأثر به سواء كان محلياً أو عالمياً.

ومما تقدم يتبين مدى صعوبة الاتفاق حول تعريف معين للنسوية سوى أنها ترفض أن تبقى أسيرة لذلك الانغلاق الأبوي والذكوري المهيمن والمختزل لقدراتها كامرأة. وعليه فالفلسفة النسوية: هي الفعل العقلاني المعارض لهذا الاستبداد الذكوري، الذي قد يمنع فاعليات الفلسفة (الإنسانيّة الكونية من الظهور.

نحن إذن، ومع الفلسفة النسوية، نسير ضمن فضاءين متقاطعين، هما:

– **من الكوني إلى الخصوصيّ:** من الفلسفة إلى النسوية فالفلسفة، بمعناها الكونيّ خطاب إنساني نقدي يحرر من التحديد والتقييد. لذا نجد باب الفلسفة أرحب لأن يكون مدخلاً يتضمن النسوية الفاعلة والمنتجة للقول الفلسفيّ؛ لخلاصها من هموم الضحية من جهة، ومن جهة أخرى، كون أن الخطاب الفلسفي الكوني لا يحتاج إلى اعتراف جنسي معين، حينها ستكون أفضل حالاً كترحيب بالنسوية بوصفها حقلاً فلسفيّاً(المحمداوي، ٢٠١٣، ١٤). وبالرغم من أن بعض تفرعات الحركات النسوية قد تطرفت أكثر حتى وصل الحد بها إلى التنافر مع هذا المطلب نفسه، كما سنشهده مع النسوية السياسية الراديكالية، ساقتها مطالبها وخصوصيتها إلى حد التنافر مع مطلب الكوني، وما يؤمن به من تسامح واعتراف بالمختلف.

– **من الخصوصي إلى الكونيّ:** تستدعي النسوية الخطاب الفلسفي للتخلص من حالة الاغتراب والتبعية، واسترجاع حقها وحريتها المستلبة، فهي تقتحم عالم القول الفلسفي مقابل طلبات الاعتراف بها والإقرار بحقوقها، بسبب ما نشط لدى المركزية الذكورية من هيمنة على إنتاجها (المحمداوي، ٢٠١٣، ١٤). ونتيجة لما سبق تتضح الفلسفة النسوية ومهامها، بوصفها محاولات نقدية وبرامج تحرر، من هيمنات الذكورية التي تحولت لميتافيزيقا حاكمة.

الخاتمة:

يمكن أن نوجز استنتاجاتنا الختامية بالشكل الآتي:

١.إن الفلسفة منهجاً ومقولاً، وبوصفها خطاباً كونياً، لا يمكنها موافقة الظلم بوصفه قبحاً عقلياً وسلوكياً. ولاسيما بعد انعطاف ذلك نحو قضايا المرأة، والظلم المسيطر على النساء، أو اختزال قيم الوجود في حيازة الذكورة.

٢.لزم بعد مسيرة تنامي الخطاب النسوي والتطور الفكري الإنساني القول بحق الوجود الإنساني للمرأة وأثره، الذي يبنى على اعتماد الرغبة في الحوار بين الجنسين للوصول إلى أهداف مشتركة بدلاً من رفض المختلف أو السقوط في الجدل العقيم حول أهمية طرف دون الآخر.

٣. .استطاعت النسوية تقويض الكثير من مقومات مركزية الرجل في الحياة المجتمعية من خلال الدعوة إلى إرساء قيم إنسانية – مساواتية تسترد بها حقها المنسلب.

٤.أمكن للمرأة اليوم تحدي ومقاومة لعبة القهر المفروضة على جنسها، لإثبات هويتها من خلال الدعوة إلى تطوير الوعي النسوي والمطالبة بالمساواة العلمية الفلسفيّة، والتأكيد عليها لدى النساء، بدلاً من أن تقتصر وظيفتهنَّ على جذب الأزواج فقط. فالعلم والفلسفة هما ما ينميان لديها الوعي بظروفها، مثلما يدفعانها إلى الاستقلال الشخصي مادياً وفكرياً.

٥.نجحت الحركات النسوية بنسب متفاوتة في الخروج عن هيمنة مؤسسات طوقية تمنع مزاولة المرأة، لحقها المشروع على المستوى الفكري كالتنظير السّياسيّ، والمستوى العمليّ، في

ممارستها، أي بفكها من قيود الأسرة، التي تراكمت عليها من جراء النظرة الطبيعية لذاتية المرأة، كونها أكثر عاطفية وأقل عقلانية من الرجل، وكذلك في ترسيخ قيم الاختلاف والتغاير مروراً بتجربة فهم المرأة بوصفها وجوداً حقيقياً مؤثراً ومتأثراً ومتمايزاً، وحضورها العملي السياسي.

٦.إنَّ العمل على تحرر المرأة من التمايزات المتوالدة بفعل النظرة التربوية المجتمعيّة، والتي تتخذ من البيولوجيا ذريعة لتحديد جنوسة (نوع)، الشخص في أن يتلقى تعليماً ذكورياً أو أنثوياً تنعكس بدورها على الممارسات السلطوية داخل المجتمع.

المصادر:

جيرمان، ليند ساي، د.ت، ***النظريات البطريركية***، مركز الدراسات الاشتراكية، نسخة من موقع الكتروني www.kotobarabia.com.

Audi, Robert, 1995, ***the Cambridge dictionary of philosophy***, second edition, Cambridge university press.

هيلد، فيرجينيا، د.ت، ***أخلاق العناية***، تر: أ.د. ميشيل حنا متياس، عالم المعرفة، وزارة الثقافة والفنون والآداب الكويتية.

السعداوي، نوال، د.ت، ***الأنثى هي الأصل***، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

حمادة، حسن، ٢٠١٤، ***قصة الصراع بين الفلسفة والسلطة***، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط ١.

مجاهد، مجاهد عبد المنعم، د.ت، ***مدخل إلى الفلسفة***، دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة، نسخة الكترونية.

خيري حازم، ٢٠١٠، ***مقالات في الفكر الأنسني: بناء الذات الأنسنية***، المؤسسة العربية الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١.

أجاسينسكي، سيليفيان، ٢٠١١، ***سياسة الجنسين***، تر: عز الدين الخطابي، زهور حوتي، روافد للنشر والتوزيع، ط١.

كاميلي، ٢٠١٥، ***أقنعة جنسية: الفن والانحطاط من نفرتيتي إلى إميلي ديكنسون***، ترجمة وتقديم: ربيع وهبة، دار التنوير للطباعة والنشر، ط ١.

قطب، خالد، ٢٠١٣، الاتجاه النسوي في فلسفة العلم وإعادة قراءة تاريخ العلم، ***مجلة أوراق فلسفية***، القاهرة، العدد ٣٧.

باريك، بيكو، ٢٠١٠، ***"الحرية"***، ضمن كتاب: مجموعة مؤلفين، مفاتيح اصطلاحية جديدة: معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، تحرير طوني بينيت، لورانس غروسبيرغ، ميغان موريس، تر: سعيد الغانمي المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١.

Collin Francoise, 1986, ***Introduction: actualité de Hanna Arendt***. In: les ca- hiers dugrif, n.33,. Hanna Arendt.

فلاكس، جين، ٢٠١٠، "**ما بعد المساواة: النوع الاجتماعي، والعدالة، والاختلاف**، ضمن كتاب: مجموعة مؤلفين، نحو دراسة النوع في العلوم السياسية، تر: شهرت العالم، تحرير الترجمة وتقديم ميرفت حاتم مؤسسة المرأة والذاكرة، سلسلة ترجمات نسوية، العدد ١، القاهرة، ط١.

ديلو ستيفن، ديل تيموثي، ٢٠١٠، ***التفكير السياسي والنظرية السياسية والمجتمع المدني***، ترجمة وتقديم ربيع وهبة المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١.

رينو، أيمانويل، ٢٠٠٥، **التصورات الأوربية للهوية**، ضمن كتاب: مجموعة مؤلفين الهوية من أجل حوار بين الثقافات، تر: عبد القادر قنيني، إشراف: نادية التازي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط ١.

الوائلي، عامر عبد زيد، ٢٠١٣، ***المرأة في المخيال الذكوري مسألة التمثلات والصور النمطية الإقصائية***، ضمن كتاب مجموعة مؤلفين: الفلسفة والنسوية في فضح ازدراء الحق الأنثوي ونقضه والتمركز الذكوري ونقده، إشراف وتحرير: علي عبود المحمداوي، منشورات الاختلاف الجزائر، منشورات ضفاف، بيروت ط١.

حيدر، محمود، د.ت، مفهوم الحوار في إشكاليات الاختلاف والتواصل ونظام القيم، ***مجلة الفكر السياسي***، سوريا، المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات نسخة الكترونية.

جمعة، حسين، ٢٠٠٨، ثقافة الحوار مع الآخر، **مجلة جامعة دمشق**، المجلد ٢٤، العدد الثالث والرابع.

أ، دال، ١٩٩٣، ***التحليل السياسي الحديث***، تر علاء أبو زيد، مراجعة الترجمة علي الدين هلال مركز الأهرام للترجمة والنشر، ط ١.

جيمس، سوزان، ***الحركات النسوية***، ضمن كتاب: مجموعة مؤلفين: موسوعة كامبريدج للتاريخ الفكر السياسي في القرن العشرين.

المحمداوي، علي عبود، ٢٠١٣، تقديم كتاب: مجموعة مؤلفين، ***الفلسفة والنسوية: في فضح ازدراء الحق الأنثوي ونقضه والتمركز الذكوري ونقده***، إشراف وتحرير: علي عبود المحمداوي، منشورات الاختلاف الجزائر، منشورات ضفاف، بيروت ط١.